تَمـَثُلاتُ الهويّة الأنثويّة الرقمـيّة
دراسة في البنى الثقافية للهوية الأنثوية في الفايسبوك

Tamils'Digital FemaleIdentit
A study aboutCultural Structures of FeminineIdentity in Facebook.

ط د-بوالزيت راضية[1،*]، د- الطاهر بومزبر[2].
[1]جامعة جيجل (الجزائر)، radiaradiabouzit21@gmail.com
[2]جامعة جيجل (الجزائر)، dbtahar@gmail.com
مخبر السوسيوأدبيات والسوسيولغويات والسوسيوتعليميات،

تاريخ الإيداع: 2021/04/28 **تاريخ المراجعة**: 2021/07/04 **تاريخ النشر**: 2021/09/30

ملخص:

اهتمَّ العلماء بالهوية الأنثوية التي وجدت في السلطة الأبوية القمعية عقبة حالت دون تحقيق الذات، سمح التقدم التكنولوجي وثورة المعلومات وانتشار منصات التواصل الاجتماعي بمزيد من حرية التعبير عن الهوية. ومع ذلك لا تزال الحركة النسوية تناضل من أجل الحصول على الحرية الكاملة ضد النظام الأبوي الرقمي.

تهدف هذه الدراسة إلى وصف ملامح الهوية الرقمية الأنثوية واستكشاف الأنماط التي ظهرت على منصات التواصل الاجتماعي، وخاصة الفيسبوك. كما أنه يرمي إلى معرفة مدى سيطرة الأبوية الرقمية عليها من خلال وسائل جديدة تعد امتداد للوسائل الأبوية التقليدية لخلق هوية أنثوية رقمية.

- **الكلمات المفتاحية**: هويّة، هويّة رقميّة، هويّة رّقميّة أنثويّة، هوية سَّايبورغية، أبويّة رقمية.

Abstract:

The scholars have been interested infemale identitywhich found in theoppressive patriarchal power an obstacle that preventedself-realization.Technological progress, information revolution and the prevalence ofsocial media platforms allowedfor more freedom of identity expression. However, the feminist movement still fights for obtaining full freedom against the digital patriarchy.This study aims to describe the features of digital female identity and explore the patterns that have emerged on social media platforms, particularly Facebook. It also purports to find out the extent to which digital patriarchy controls digital female identity and the diverse means of control used to exert this power.

***Keywords**: identity, digital identity, digital identiy femaleidentity. cybernetic digital, digital paternity.*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

تعرّضت الهويّة بسبب اتساع مفهومها إلى التّقسيم بين: الاجتماعيّة، النفسيّة، التاريخيّة، الآنيّة. ومعناها لغةً: "أنّ يكون الشيء هو هو وليس غيره"[1]؛ وللإحاطة بها يجب الانطلاق من الآخر سواء للمقارنة بينه وبين الأنا، أو أخذ رأيه تجاه الأنا؛ وهي "كلمة ترجع إلى الأصل اللاتيني idem الذي يعني **"نفسه"**، ويشير معناها الأول إلى صفة التماثل، وهذا يوحي بأنّها لا تكتسب معناها إلا في سياق علائقي، فعندما يكون الشيئان متماثلين فإننا نقول حينها إنّهما يُظهران هُويّة"[2]؛ وبهذا فإنّ الهُويّة تتكون من مجموعة تعارضات واختلافات وتقابلات مع الآخر سواء أكان هذا الآخر ماديّاً أو معنويّاً، بشريّاً أو ثقافيّاً، مؤسساتيّاً أو اجتماعيّاً.

بدأت الهوية بوصفها مفهوما فلسفيا، وعملت على بنائه ضمن التعارضات والتقابلات مع المفاهيم الفلسفية، نذكر منها "الماهية"، حيث "يتداخل مفهوم الهويّة ومفهوم الماهية، فالهويّة لّغوياً أن يكون الشيء هو هو (...) أما الماهيّة فهي أن يكون الشيء ما هو بزيادة حرف الصلة "ما" على الضّمير المنفصل "هو""[3]، ما يميّز الهوية خلال عقود من الزمن هو الثبات والتعالي، فقد كانت تعد إحدى المركزيات المكوِّنة للأنا، الماهية، والجوهر.

بحلول عصر المابعديات* بدأت الهوية تدخل مرحلة جديدة تختلف عن المرحلة الفلسفية التي مَرَّتْ بها، فاصطبغت بمميّزات وسِمات ما بعد الحداثة من "نبش في الأسس وكسر للقوالب وخروج على النماذج، بل حتى ثمَّ تفجير للأشكال وتدمير للأنساق على نحو خارق ومدهش"[4]، فأصبح مفهوم الهوية يقام على اللاهوية، والاختلاف والتشتت والإرجاء، عاكساً لمفاهيم المابعديات، من "التعددية الثقافية، والطبقة والعرق والجنس وسياسة الهوية وسياسة الاختلاف"[5]، هذا فيما يخص تحولها وتنوعها على المستوى العمودي المقصود به التطور التاريخي، في حين لها تطور على المستوى الأفقي وهو الأكثر ملاحظة من طرف عامة الناس، يورد **"آليكس ميكشيللي"**، بعيداً عن تحولاتها التاريخية وثنائياتها الفلسفية في كتابه **"الهُويّة"**، تعريفاً أكثر اتصالاً بتنوعها الأفقي، إذ يصرح أن " للهُويّة مجموعة من السِمات التي تسمح لنا بتعريف موضوع معيّن، وبناءً على ذلك فإنّ التحديد الخارجي للهُويّة يكون بالبحث عن هذه السِمات وتحديدها"[6]. ويصل المهتم بشأنها إلى سِمات من خلال المقارنة مع الواقع الغيريّ على تنوعه كما أشرنا سابقاً.

إذا كانت عرفت تنوعا وتغيرا في الواقع العام، هل ستعرف مع الأنثى تنوعا أكثر بوصفها تعتمد على إخفاء و تخفي باعتبارهما صفتين طبعين بها؟، فهل ستعرف تعدد وتشتت من أنواعا أخرى بدخولها العالم الافتراضي؟، سنحاول التوصل لذلك من خلال مجموعة من النقاط نقف عليها تحليلا ودراسة وتصنيفا.

أولا: الهوية هويات:

1- الهُويّة الأنثويّة :

الهوية الأنثوية/النسائية لا تقل توسعا وتعقيدا عن الهوية مفهومها العام، اهتمّت الناقدات المحسوبات على التيار النسوي بتحديد مفهومها، منهن الباحثة والناقدة والنسوية**"جوليا كريستفيا Julia**

CHristeviak" من خلال "الربط بينها وبين الدوافع الفوضوية التي تتعرض للكبت في ظل النظام السائد المنظم لهذه الدوافع، والذي تسميه بالنظام السيميوطيقي. لكن هذا المفهوم لا يؤدي إلى نشأة ذات مستقرة، بل نشأة ذات مائعة مؤقتة غير محدّدة المعالم"[7]، في حين انطلق بحث نسويات أخريات عنها من خلال اللغة بصفة خاصة، "على أساس أنّ اللغة نسق يؤدي إلى تشفير هوية الذكر، لا هوية الأنثى. ولذلك تطرح "**هيلين سيكسو**" فكرة **الكتابة الأنثوية**، وتطرح "**لوسي إيجاري**" فكرة "**الكلام المؤنث**" كنقيض للتراكيب اللغوية التقليدية"[8].

رغم اختلاف وجهات النظر، ووجهات البحث إلا أنّهن يتفقن في أنّ الهوية الأنثوية هي بحث عن السِمات الأنثوية التي تحكمها الثقافة الذكورية، وكيف تعمل لإيجاد سِمات جديدة أكثر انسجاما مع الوعي النسوي.

2- **الهُويّة الرقميّة:**

الدارسون -قبل الثّورة المعلوماتيّة- عند اهتمامهم بالمفاهيم-يدرسونها غالبا ضمن ثنائيات أشهرها: الميتافيزيقي/الواقعيّ، أو الماديّ/المعنويّ، أو الماديّ (التاريخي)/ المعنويّ... وغيرها من الثّنائيات، إلا أنّه مع الثّورة المعلوماتيّة دخلت ثنائيّة جديدة تُلِحُ على دراسةِ المفاهيّم ضمنها، هي: الواقعيّ/الافتراضيّ (الشبكيّ، التكنولوجيّ، الرقميّ)، فكل ما هو واقعيّ ماديّ أصبح له تقابل وتماثل على المستوى الافتراضيّ، منه مفهوم الهُويّة.

والهُويّة الرقميّة حسب "موسوعة **ويكيبيديا**" هي: "هوية اجتماعية يؤسسها مستخدم الإنترنت في المجتمعات الرقميّة والمواقع الإلكترونيّة. ويمكن أن تُعَرَف أيضا على أنها تمثُّلٌ بنيه الفرد لنفسه"[9].

بينما الهُويّة الرقميّة حسب "**دارن بارني**DARREN BARNET" في كتابه "**المجتمع الشبكيّ**" اكتسبت سِمات المجتمع الشبكيّ، إضافة إلى اكتسابها سِمات المجتمع ما بعد الحداثيّ، وذلك لأنّ "الهُويّة ما بعد الحداثة تُبنى بوصفها خليطا معقدا من العَلاقات والخيارات والأفعال التي تؤتي بها سياقات متوازية ومتداخلة، وما عادت الهُويّة أمرا ثابتا طبيعيّاً متكلساً ذا عناصر مستقرة بل أصبحت في عصرِ ما بعد الحداثة مسألة مصطنعة ومرنة وعارمة وحاملة أوجه ومتحولة"[10]، فإذا كانت تصطبغ بما بعد الحداثة وتصطبغ بسِمات المجتمع الشبكيّ وكلا الاصطباغين معقدين، إذاً نحن أمام مفهوم معقد وواسع وعصي على حصر دلالته في مفهوم واحد ورؤية واحدة.

وقد أثار "**د. بارني**" في كتابه السابق الذكر[11]، إلى أنّه يتبنى طرح "**كاستلز**Manuel Castells" في كتابه "**سلطة الهُويّة**" وتقسيمه للهُويّة إلى قسمين: **الهوية المشرعنة والهوية المقاوِمة**؛ فالهُويّة المشرعنة التي لها شرعية الظهور والّسيطرة على المناحي الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة خاصة، في حين أنّ المقاومة هي المضطهدة المرفوضة فيها. ويرى "**كاستلز**" أنّ العالم الشبكيّ يتسم بصعود الهُويات المقاوِمة وسقوط الهُويّات المشرعنة جراء العولمة الاقتصاديّة والديناميّة وتراجع سيطرة الدولة القوميّة وغيرها من المؤسسات التقليديّة (بما فيها العائلة الأبويّة خصوصا)، وصعود الهُويّات المقاوِمة هي نتيجة لحالة انعدام المعنى التي يعيشها المجتمع الشبكيّ.

ومن الهُويات المقاوِمة الّتي همشّت من طرف المجتمع المدنيّ وتعرف رواجاً اليّوم في المجتمع الشبكيّ، ثلاث هويات تختلف فيما بينها من حيث ما تمسكت به وتحدثت في ضوئه فمنها ما "تمسّكت بالعامل البيولوجي (العرق والجنس) أو التّاريخي (الطبقة أو الأقليات الدينيّة والإثنيّة) أو الجغرافي (الأقليات الإقليميّة)"[12]. ومن بين الهويات المقاومة المعتمِدة على الجنس البيولوجي "الهوية الأنثوية" التي تعرف ظهوراً وتبلوراً اليوم ينافس الهوية الأنثوية المشرعنة، التي تأخذ تصريحاً أبوياً ذكورياً لظهورها.

خلقت الرقمنة أو المجتمعات الشبكية هُوية مبتدعة أكثر مِنْها واقعيّة؛ وإضافة إلى ابتداعها فهي غير ثابتة يمكن تغييرها متى أراد صاحبها أو كما يسمى "المستخدم"، ويمكن امتلاك هُويات إلى جانبها. يتبنى "**دارن بارني**" قول "**شيري توركلSherry Turkle**" صاحبة كتاب "**الحياة على الشاشة**" فكرة "الحواسيب لا تغيّر حياتنا فحسب، بل تغيّر ذواتنا أيضا"[13] ويضيف: "نبتدع ذواتنا على نحو متواصل (...) فأنت ما تزعم أنَّك عليه (...) وهُويتك على الحاسوب هي محصلة مشتت... ذلك أنّ هُويتك شديدة السيولة والتّعدد إلى الدرجة التي تجعل مفهوم الهُويّة ذا حدود فضفاضة"[14]، بل - يضيف على لسان "**شيري توركل**" - "طابعا مختلفا ومتعددا ومتغايرا ومتشظِيا (...) ارتبطت الأفكار القديمة عن الهُويّة بمفهوم الأصالة، لكن التّجارب الافتراضيّة ما فتئت تخرب ذلك أيّما تخريب.. لم يجر إسقاط مركزيّة الذّات فحسب، بل تعددت الذّات وانقرضت حدودها أيضا"[15]. كلامه عن الهوية كأنّه كلام عن فلسفة المابعديات التي تأصلت لتَشتُت وتشظي وانتشار وإرجاء المعنى وتعدده، إلا أنه تعدد طبيعي خاضع لسِمات العصر والظروف المشكِّلة للفرد، فمجتمعات ما بعد الحداثة ذات تشظي ظاهر على جميع الأصعدة، منها صعيد الهوية.

يرجع ظهور هذه الهُويّة الرقميّة إلى بداية استعمال الإنسان الحداثيّ للتكنولوجيّا المعلوماتيّة، وخاصة بظهور مواقع التّواصل الاجتماعيّ. وظهور الإنسان السَّايبورغي** الّذيّ مزج حياته العضويّة بالآلة فأصبحت جزءاً لا يتجزأ منه، فإذا كانت الهُويّة الواقعيّة تحمل تقسيمات وتنوعات فبدخولها عالم الافتراض والرّقمنة، زادت تعقيداتها. ويُعد "**الفايس بوك**" إحدى أهم المنصات التي تجذب مستخدمين كثر من مختلف أرجاء العالم، حيث يُعَدّ المنبر الرقميّ الأكثر استعمالاً.

تعرَّف وسائل التّواصل الاجتماعيّ بأنّها "منصات إعلاميّة، أو مجموعة من قنوات الاتصال المباشرة المتخصصة في النّشر والتّفاعل أو مشاركة المحتوى (الصور، والمقاطع الصّوتيّة، والمصورة) والتّعاون على مستوى المجتمع والأفراد"[16]، "وغالباً ما تكون هذه المشاركات معبرةً عن هُويتنا، سواء أكانت صوراً ومقاطع فيديو تُمَثِلُنَا أم تمثل النّاس الآخرين، لأنّها في الحالة الأولى ستكشف هُويّتنا الاجتماعيّة والنفسيّة بالخصوص، وفي الحالة الثانيّة ستكشف هُويتنا الذّوقيّة والثّقافيّة بالخصوص.

التّواصل الاجتماعيّ على الشبكات اليوم هو "تواصل اجتماعيّ يعتمد على تقنية منتشرة على الإنترنت تسمح للمستخدمين بإنشاء متصفحات أو صفحات شخصية وتحميل الصور والفيديو وإرسال الرسائل إلى العائلة والزملاء بهدف التّواصل"[17].

"**الفايسبوك**" أهم منصة للتواصل الاجتماعي، أسسه "**مارك زوكربيرغMark Zuckerberg**" عام 2004، واقتصر في بداية استعمالاته على طلاب جامعة "**أوكسفوردOxford**" بإنجلترا ليمتد إلى الطلاب بجامعة "**هارفاردHarvard**" بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم ليمتد فيما بعد إلى جميع الفئات العمرية والثقافيّة والعالميّة."كما هو ملاحظ فقد بدأ عمله مع الهُويّة المثقفة الإنجليزيّة ليمتد إلى هُويات العالم المتعددة جغرافيا وعمريّا وفئويّا (...)، موفراً ومطورا ميزة تعدد الهويات من أجل استيعاب أكثر ؛ "حيث يحتوي اليّوم 70 لغة"، و"**الفايسبوك**" يهتم بالهُويّة الاجتماعية، والثقافية.

هذه بعض البيانات تطلب من المستخدم عند فتحه حساب:

الاسم:..... اسم العائلة:..... . .....الهوية الاجتماعية	
بعدها: الجنس: ..... العمر:..... .....الهوية البيولوجية.	
مكان العمل: ..... الجامعة التي درست فيها:..... .....الهوية الثقافية الأكاديمية	
يطلب منك وضع صورة تمثل حسابك :..... .....الهوية البيولوجية.	

إذاً كما هو ملاحظ، فالهُويّة الفَايسبوكيّة تسْتَنِدُ إلى الهُويّة الواقعيّة ولم تخرج عن إطارها، إذ تهتم بها ضمن الإطار الثقافيّ، والاجتماعيّ والبيولوجي، إلا أن وجود الحريّة الرقميّة في جميع منصات التّواصل الاجتماعيّ و"**الفايسبوك**" خاصة، تجعل منها في غالب الأحيان بعيدة عن الهُويّة الواقعيّة، وذلك بسبب الحرية رقمية.

والحرية ليست بالأمر الجديد على الهوية، فهي تمثل إحدى أهم دعائمها، فـ "ليست الهُويّة موضوعا ثابتاً أو حقيقة واقعية بل هي إمكانية حركيّة تتفاعل مع الحرية، فالهويّة قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات والذات حرة؛ والحرية قائمة على الهُوية لأنّها تعبر عنها، والحرية تحرّر أي أنها تتيح إمكانية أن يصبح الإنسان حراً" [18]. إلا أن الحرية الرقمية ليست حرية سلوكية فقط بل حرية في المكان والزمان وحرية بيولوجية (...) ففي العالم الرقميّ، أنت لستَ مقيداً أن تلتزم مكاناً وزماناً معيّنيّن لتعمل على أن تكون مستخدماً في المنصة، ويضاف لذلك حرية الجنس (النوع البيولوجي)، بحيث يبدو التّلاعب بالجندرية* متاحاً في "**الفايسبوك**"، فباستطاعة الذكر الواقعيّ أن يكون أنثى رقميّة، وباستطاعة الأنثى الواقعيّة أن تكون ذكراً رقميّاً؛ وإضافة إلى هذه الحريات توجد حرية الرأي، ونشر الصور، وغيرها من الحريات المتعددة والدخيلة.

إلا أن "**الفايس بوك**" وضع لها حاجزاً في حالة إدراج منشور مخالف لقواعد المجتمع أو انتحال شخصية إذ يمكن قمعها بالإبلاغ عنها، إلا أنّ هذا القمع يُمارَس دون تحرٍ وتأكد هل حقا المستخدم خالف قواعد المجتمع؟... ولكن ما هي قواعد المجتمع؟ وهل احترم "**الفايس بوك**" عند وضع معايير للقواعد التي يجب أن لا تخالف خصوصية كل مجتمع؟ أم أنه تركها فضفاضة وخاضعة لمعايير المجتمع الغربي بما أنّه مجتمع المُنشئين؟... لهذا يبقى قمع التعدي الهوياتي، والتعدد الهوياتي المضِّر بهويات الآخرين ناقصاً ويحتاج إلى قوانين رقمية أخرى تحكمه.

يمكن من خلال استعمالنا اليوميّ أن نرصد أنواع وسِمات الهُويات الرقميّة التي تظهر في هذه الوسيلة، وهي:

أ- **الهُويّة الفرديّة:** يدعمها **"الفايس بوك"** من خلال ما ذكرناه سابقا من مطالبته المستخدم بوضع معلومات حوله من عمر، وجنس، و(...)؛ ويدعم **"الفايس بوك"** الهُويّة الفرديّة كذلك من خلال ما يسمى بصفحة المستخدم فيوفر له مختلف الوضعيات التي يريد أن يظهر بها: هل يظهر للعامة؟ أم يظهر لكل الأصدقاء؟... وبهذا فهو يدعم الهوية الفردية ويحرص على خصوصياتها وحريتها.

ب- **الهُويّة الاجتماعيّة:** يتيح لها**"الفايس بوك"** الظهور من خلال ما يُعرف بالمجموعة أو المجموعات التي يكون لها مشرف أو مشرفين عليها، وتتنوع اهتمامات المجموعات بتنوع اهتمامات الناس من: طبخ، أزياء، ثقافة، وسياسة، وغيرها...، أما دعم **"الفايس بوك"** لها فيظهر من خلال خاصية المشاركة، فيمكن للمستخدم مشاركة اهتماماته التي اطلع عليها وإظهارها للمستخدمين، ومنه التعريف بهُويّته الفردية والترويج لها لتصبح هُويّته هُويّة عامة.

ج- **هُويات أخرى:** يدعم **"الفايس بوك"** الهويات الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، من خلال السماح للمستخدم بفتح صفحات أو مجموعات تهتم بإحدى الهويات وتروج لها؛ ومنه يكون العبور لهذه الهويات من خلال الهُويّة الفرديّة أو الاجتماعيّة.

وتبقى هذه مجرد تقسيمات، فإذا كان التّداخل ظاهراً بين الهُويات في العالم الواقعيّ، فهو أكثر ظهورا وعمقا في العالم الافتراضيّ.

ثانيّاً: أشكال الهُويّة الأنثويّة الرقميّة:

بما أنّ **"الفايس بوك"** منصة مبنية على الحرية، والهُويّة مبنية على التعدديّة والحريّة كذلك، فطبيعيّ أن تتعدد أشكال الهُويّة الأنثويّة وسِماتها، نحاول رصدها فيما يلي:

1- الهُويّة الاستعاريّة:

تطرق **"آ. ميكشيللي"** في كتاب الهُويّة لتعريف الهُويّة المظهريّة باعتبارها "هُويّة يقترحها الفرد أو الجماعة من أجل الآخرين، وهي صورة للهُويّة تعد بطريقة أكبر أو أقل تطابقاً مع الهُويّة الحقيقيّة"[19]. وظهرت عنده "معدة من أجل الأعضاء المشاركين في إطار الحياة الاجتماعيّة، ووفقا لهذه الصيغة يمكن امتلاك عدة أنواع من الهويات المظهرية"[20].

والملاحظ على تعريف **"آ. ميكشللي"** هو تطابق مع ما أطلق عليه الهوية المظهرية مع ما نسميه الهوية الاستعاريّة، إلا أنّها أكثر ابتعادا عن الهُويّة الحقيقيّة، فلكي يهرب الفرد من الضغوطات الاجتماعيّة يعمل على إخفاء نفسه وراء: استعارة الجنس، استعارة البلد، استعارة العمر، استعارة (...)، وأحيانا يكون الهدف من الاستعارات هو المتعة حسب.

2- الهُويّة الأنثويذكورية:

طالما اعتمدت الهُويّة الأنثويّة على هُويّة الرجل لإظهار نفسها ومنح هوية جديدة لذاتها، سواء من طرف الآخر، أم من طرفها هي في حد ذاتها، فإننا كثيرا ما نجد هذا النوع من الهُويّة الأنثويّة في حياتنا الواقعيّة، التي أطلقنا عليها بالهويّة الأنثويذكورية، موجودة حتى في ثقافتنا الشعبية فيقال عن المرأة **"أخت الرجال"**، فالاعتراف هنا بهُويّة المرأة تَمَّ من خلال الرجل، أو مثل المثل السائد **"وراء كل رجل عظيم امرأة"**، فهنا تَمَّ إعطاء قيمة لعمل المرأة في سبيل الرجل لكن هذه القيمة بقيت ذات مرتبة ثانيّة. ليست هي الفاعل الحقيقي في الحدث التاريخي بل تكون دوما المساعد للرجل على صناعة هذا الحدث.

ليس بعيداً عن هذا المبدأ تتجلى إحدى سِمات الهُويّة الأنثويّة الافتراضيّة، حيث تُوجِدُ كينونة لسانية لها من خلال كينونة الرّجل، وذلك من خلال فتح حساباتها وإعطائها اسم رجل سواء أكان هذا الرجل "**ذكر/ابن**" كـ (أم موسى، أم هارون، أم أحمد، أم وليد)، أو **ذكر/زوج** كـ (زوجة محمد، زوجة على، زوجي خذ بيدي إلى الجنة...)، أو **ذكر/أب** كـ(ابنة أبي، ...) لكن نادراً ما نجد حساباً فايسبوكاً لأنثى تستند في هويتها اللسانية لـ **ذكر/أخ**.

من هنا، نلاحظ أنّ الكثير من الهُويات الأنثويّة العربية هي هُويات أنثويذكرية تسند إلى هُويّة الذكر لتمنح لنفسها شرعية الوجود عبر **"الفايس بوك"**، وتستطيع أن تأخذ شرعية التواجد من منحها أيضا، ولإرضاء الأبوية الرقمية والخروج من رقابتها. وهي ميزة مرجعية تاريخية للمرأة العربية التي لا تنادى باسمها في الوسط الاجتماعي العام إخفاء لهويتها، وتعويضها بالهوية المركبة التي تسندها إلى فلان غالبا.

3- الهُويّة الصريحة:

توجد العديد من الحسابات على منصة التواصل الاجتماعيّ التي تحتفظ بهُويتها اللسانيّة (الاسم ولقب العائلة) كما هو في العالم الواقعيّ، وأغلب الهُويات الذكر تصنّف تحت هذه السمة والقسمِ، وفي المقابل لا توجد إلاّ القليل من الهُويات الأنثويّة التي تُصنَّف تحت هذا القسم، وإذا صُنِّفت فإنّنا في الغالب نجد صاحبة هذا الحساب إما:

ذات مكانة علمية أو اجتماعية، وبإحدى المكانين استطاعت أن تواجه المجتمع الأبويّ الواقعيّ، وتواجه المجتمع الأبويّ الافتراضيّ لتُظهِر هُويتها الحقيقيّة.أو أنها تعيش ضمن بيئة لا توجد معيقات الأبوية البطريكية بها، (في الغالب تعيش ببلد غير عربي).أو شخصية عامة (فنانة، كاتبة، مسرحية،...).أو أنّها هُويّة أنثويّة كسرت حاجز الأبويّة.

4- الهوية السَّايبورغية (cybernetic digital):

خلال سنة 1991 ظهر مصطلح نسويّ جديد هو **"الكائن السَّايبورغي"** مع النسويّة **"دوناهارواي Donna Haraway"**؛ والمقصود بالكائن "السَّايبورغي هو كائن سايبرنتيكي هجينٌ من الآلة والكائن الحي، مخلوق من

الواقع الاجتماعي ومن الخيال أيضا"[21]، استُلهِم من الروايات وأفلام الخيال العلمي إلا أنّه اليوم أصبح حقيقة بفعل التداخل المستمر والدائم بين الآلة والإنسان.

رحَّبت **"د. هارواي"** بهذا الكائن لأنّه كائن لاجندري وسيعمل وينتج من خلاله لاجندر، بحيث يصبح لا قيمة للتقسيمين: الأنثوية والذكورية، و"السَّايبورغ مخلوق في عالم ما بعد الجندر(gendru) ولا علاقة له بالازدواجية أو التَّعايش ما قبل الأودِبي، لأنه يدٌ عاملة لا تشعر بالاغتراب ولا علاقةَ له أيضا بالإغراءات الأخرى التي تحقَّر"[22].

وقد علقَتْ **"د.هارواي"** والنسويات على هذا التحول السَّايبورغي في تركيبة الإنسان، فمنذ وجود الآلة حرَّرت الإنسان من البدائيّة، وأدخلته مرحلة الثقافة (الإنسان/الرجل)، أما التحرر الفعليّ للإنسان/ المرأة، فتمّ بسبب دخول الآلات الثقافة، حيث ظهرت فعلياً بتوسع العمل (الآلة الإنتاج)، ليتوسع تحررها أكثر بظهور المعلوماتيّة والتكنولوجيّا الافتراضيّة، وهذا ما حصل فعلا، فمثلا على منصات التّواصل الاجتماعيّ خاصة **"الفايس بوك"** - الذيّ هو موضوع الدراسة- نلاحظ أنّ التّواجد الأنثويّ منتشر بكثرة ويَعْرِفُ سيطرة ولو بأسماءٍ مستعارةٍ **ف"الفايس بوك"** سَمَحَ للهُوّيّة الأنثويّة أنّ تُبْرِزَ اهتماماتها وآرائها؛ وتَبْرُزُ الهُويّة السَّايبورغيّة الأنثويّة من خلال عدة أشكال نلخصها فيما يلي:

دخول الأنثى العالم الأزرق: كانت علاقة المرأة مع التكنولوجيّا في البدايات علاقة عقيمة وعلاقة فوق وتحت، فالمرأة لم تكن تملك القدرة والمعرفة الكافية للتّحكم فيها، والتكنولوجيّا الوحيدة التي تتحكم فيها لا تخرج عن المنفعة المنزلية، مثل: الغسالات (...) ف"التكنولوجيا المنزلية الموجودة موجهّة أساساً للمرأة التي تُعامَل على أنّها مستخدم ومستهلك للتكنولوجيا، بينما يقوم الرجل بدور منتج التكنولوجيا ومصممها"[23].

لكن هل هذه السَّايبورغيّة مُستعملة استعمالا صحيحا؟ أم أنّها حوّلت انشغالات النِّساء إلى انشغالات غير منتجة؟... وردت في كتاب **"سارة جامل Sarah Gamable": "النسويّة وما بعد النسويّة"**[24] إشارة لسوء استعمال التكنولوجيّا من طرف النساء، وضربت المثل بالهاتف، حيث تذكر أن المرأة استعملته عند ظهوره للثرثرة الفارغة أما الرجل فاستعمله للمعاملات التجارية.

لكن المرأة اليوم باستعمالها للفايس بوك تجاوزت مرحلة "القطيعة" وسوء العلاقة مع التكنولوجيا، وهذا ما نلاحظه اليوم في **"الفايس بوك"**، حيث تعدى استعماله المفهوم التجاريّ إلى الاجتماعيّ والنفسيّ والعاطفيّ والثقافيّ والمادي والسياسيّ والتوعويّ، من طرف المستخدم سواء أكان رجلاً أم امرأة، كما أنَّ كليهما أصبح يستعمله للثرثرة الفارغة على حد قول **"س. جامل"**، فلم تعد الثرثرة حكراً على المرأة، أو بتعبير خبراء اليوم: اللّعب والعبث وتحقيق المتعة ظاهرة شاملة تسود تفكير الإنسان الحداثيّ، سواء في العالم الحقيقيّ أو العالم الافتراضيّ، فنحن اليوم "نعيش في عالم يتسِّم بالتحول من المجتمع العضويّ الصناعي نحو نظام المعلومات الهلاميّ... من العمل الشامل إلى اللّعب الشامل، أي إلى لعبة قاتلة نجد فيها تكنولوجيا الكمبيوتر في كل مكان؛ وفي هذا الواقع المترابط عن طريق الشكل الإلكترونيّ يعاد تعريف الاستقطاب مثل الطبيعة/ الثّقافة، والحيوان/

الإنسان والإنسان/ الآلة.. واقع جديد تتغير فيه الحدود، وهنا يأتي دور الإنترنت وعالم الكمبيوتر الذي تُتاح فيه إمكانية تحرير المرأة"[25].

وبالفعل وجدت المرأة نوعاً من الحرية في عالم الفايس بوك.

الهوية الصريحة وسايبورغيتها: قليلا ما نجد هُويات أنثوية صريحة على **"الفايس بوك"**؛ وتُميَّز الهُويّة الصريحة في غالب الأحيان بكونها شخصية عامة، تظهر في إطار معيّن (مغنية، أستاذة، شخصية عامة...) إلا أن صراحتها في الغالب لسانيّة، فهي تَدَعِيّ هويتها الثقافيّة وأحيانا البيولوجيّة كذلك، ونلمس الادعاء الثقافيّ من خلال تبنيها لمجموعة من الآراء والطروحات التي لا تعبّر عن مواقفها الحقيقية، ولكن تستعملها لإظهار هويتها المظهريّة لا الحقيقيّة، ونلمس ادعاءها البيولوجي من خلال تغيير عمرها وجنسها وأحيانا شكل وجهها وعينيها باستعمال تطبيقات، فتُغيّر صورتها وتُضفيّ عليها مؤثرات -خاصة الهُويات الفنيّة-، فهي رغم ظهورها بهويتها اللسانيّة الحقيقيّة إلا أنها تمارس نوعاً من الكذب الافتراضيّ، والآليّ... خاصة الآلي الذي يعرف انتشاراً واسعاً.

ثالثا: الأبويّة الرقميّة والهويّة الأنثويّة:

خلال السبعينات والثمانينات، من القرن الماضي، أُطلق على وصاية الرجل تجاه المرأة الوصاية الأبوية / البطريكيّة، وعلى نظامه النظام الأبوي البطريكيّ.

كما يرى "رياض **القريشي**"[26] بأنّه: نظام معرفيٌّ في كل الثقافة الغربية يعني سلطة الأب / الرجل في إدارة الأسرة أو المجتمع أو الكنيسة، ويُطلق عليه كذلك النظام البطريكيّ.

أورد **"حنفاوي بعلي"** تعريفاً للأبويَّة، مُستَخلصاً من دراسة **"كيت ميلت، Kate Millett"** عام 1970 المعنونة بـ**"السياسات الجنسية"**، وتعتبر الدراسة الأولى التي استعملت هذا المصطلح، وتعني به "تحكم الأب وتسلطه لوصف قضية اضطهاد المرأة؛ وتضع الأبوة المرأة في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل، أو تُعامل المرأة على أنّها ذكر ناقص، وترى **"كيت ميليت"** أنّ المرأة، برغم التطورات الديمقراطية، ما زالت تتعرض للإكراه من خلال قولبَة نظام الأدوار الجنسيّة، الذي تعرضت له منذ العهود السابق"[27]. فهذا المصطلح نما وتطور على يد الفكر النسويّ.

استحدث المفكر الفلسطينيّ **"هشام الشرابيّ"** عند دراسته للأبويّة العربيّة في كتابه **"النظام الأبويّ وإشكالية تخلف المجتمع العربي"** مصطلح **"الأبويّة المستحدثة"**، وهي الأبويّة القديمة مدعومة بوجه الحداثة[28]، و"على مدى المئة عام الأخيرة لم يجرَ تبديلها أو تحديثها، بل إنها ترسخت وتعززت (...) وذلك أن اليقظة العربيّة أو النهضة التي شهدها القرن التاسع عشر لم تعجز عن تفتيت أشكال النظام الأبويّ وعلاقاته الداخليّة"[29]. وهذه الأبوة موجودة في العالم الافتراضيّ؛ فرغم التقدم التكنولوجيّ والمعلوماتيّ والتقنيّ نلحظ أن مستعمليّ هذه التقنيات مازالوا يحتفظون بأبويتهم وذكورتهم وخلقوا مجتمعاً أبوياً افتراضيّاً رقميّاً، مُقابِل تماما لما هو واقعيّ، ولأن "حجر الزاوية في النظام الأبوي (والأبوي المستحدث) قائم على **استعباد المرأة**، من هنا كان

العداء العميق والمستمر في لاوعي هذا المجتمع للمرأة ونفي وجودها الاجتماعيّ كإنسان والوقوف بوجه كل محاولة لتحريرها"[30]. واستمر هذا الحَجر حتى مع الأبويّة الرقميّة التي نقصد بها هنا: نظامٌ معرفيٌ يعني سلطة الرجل/ الأب أو الأخ... على كل ما هو مؤنث حيث يلزمها التفكير وفق نمطية، وتصرف ضمن سلوكات رقمية، ومن مظاهرها في قمعها تجاه المرأة تتجسد في مجموعة من النقاط:

1- استعاريّة الأسماء:

كما أشرنا سابقا إنّ أهم شكل للهُويّة الأنثويّة في مواقع التواصل الاجتماعيّ هو الهُويّة الاستعاريّة، - رغم أن هذه الصفة لا تخصُها وحدها بل هي صفة عامة للهُويّة الرقميّة عامة، واستعارة الأنثى لاسمها في معظم الأحيان يكون تحت ضغط السلطة الأبويّة الواقعيّة، سواء أكانت هذه السلطة تمثل الأب أم الأخ أم المجتمع الذكوريّ، أم بسبب الأبويّة الرقميّة التي تتعجب من وجود اسم أنثوي حقيقيّ في المواقع الاجتماعيّة، وفي حالة وجوده يتعرض الحساب للمحاسبة الأبويّة الرقميّة من خلال مراقبته وتعريضه إلى تعليقات جارحة تمس ما نسميه الشرف الرقميّ أو تعرضه للتحرش الرقميّ، والعنف الرقميّ.

2- لغة الخطاب التقليديّ:

عند دراسة **"هشام الشرابي"** لعلاقة اللّغة بالنظام الأبويّ، وجد أنّ أحد أنواع هذه اللّغة هو ما أطلق عليه بالخطاب اللّغويّ التقليديّ، وهي اللّغة الّتي تستمد وجودها من القاموس الدينيّ والعقائديّ[31]. وهذا النوع من الخطاب تستعمله الهُويّة الأنثويّة الرقميّة في التعبير عن نفسها تحت أهدافٍ كثيرةٍ، أهمها لإرضاء الأبويّة الرقميّة والاختباء تحت عباءة الدين، فنجد الهُويّة الأنثويّة اللسانيّة تستعمل أسماء مستعارة دينيّة منها: (**"أستغفر الله"**، **"المؤمنة بربها"**، "**سر سعادتي حجابي**"، **"ثقتي بربي تكفيني"**...) وما هذه الأسماء إلا وسيلة لتقليل الرّقابة الأبويّة عليها، فـ "النِظام المعرفيّ الَّذي ينهض منْه الخطاب التقليديّ على تأسيس الضمانات الّتي تكفل تفوّق المقولة الدينيّة ويلغيّ تلقائياً أي مقولات أو مواقف مختلفة أو متعارضة فنجردها من شرعيتها"[32]، فتكتسي صفة التّربية، والشّرف، والوّرع على الهُويَّات الأنثويّة المستعملة للخطاب الدينيّ وتلغيها من صفات الهُويات الأنثويّة الصريحة أو الاستعارية، خاصة الخارجة عن الخطاب اللّغويّ التقليديّ المستعمِلة للخطاب المعاصر.

3- صورة بدون رأس:

إذا كان الشرف يحمل معنى معينا في العالم الواقعيّ ففي العالم الافتراضيّ غالباً ما يكون مفهوم الشرف الرقميّ مختلفاً تماماً وامتدادا له، فالشرف الرقمي غالباً ما يتمركز في الرأس، حيث يُمنع على الأنثى إظهار وجهها في صفحات **"الفايس بوك"**، لكنه يسمح لجسدها المحترم لشروط العورة أن يظهر، فـ"مثلما خص التاريخ رأس فينوس ويديها وقطعها وترك جسدها العاري معروضا في متاحف العالم من دون رأس أو يدين"[33]. فليس جديداً على الثقافة أن تقطع رأس الأنثى لتسمح لها بالظهور، وأنْ تكون مرئية، "الأدبيات التي تحرم الأنثى من نعمة العقل (جسد بلا رأس) ومن وظيفة الأعضاء إذ تجعلها جسدا شبقيا فحسب"[34]. هذا من جهة، لكن إحدى

الأسباب كذلك هي السبب الهوياتي، فالوجه يمثل الهوية الأكثر ظهورا وتعبيرا عنها؛ والأبوية الرقمية تسعى إلى إخفاء الوجه لأنه تعبير عن التحدي، الشرف، الحياء... تسعى إلى إخفائه قدر المستطاع من أجل جعل الأنثى جسداً بلا رأس.

بهذا نتوصل إلى أن الأبويّة الرقميّة توضح ضمن هذه الصور أنّها لا تزال تمارس قمعها وتهديدها للحضور الأنثويّ والعمل على إلغائه والتقليص من نسبة حضوره، والتحكم في كيفيّة ظهوره.

الخاتمة:

نتوصل في الأخير إلى أن:

- الهوية مفهوم متعدد الأوجه، متغير الدلالة، عرف تغيراً على مستواه الأفقي، وكذا العمودي، وعرفت تطور على المستوى الأخير بظهور هويات.
- الهوية الرقمية الأنثوية، إحدى نتائج التحول الصيروري للهوية، ودخول المرحلة السَّايبورغية؛ حيث سمحت الهوية الرقمية الأنثوية بظهور الهوية الجندرية واللاجندرية على مسرحها في ذات الوقت.
- احتفاظ الهوية الرقمية الأنثوية بِسِمات الهوية الأنثوية الواقعية من اختفاء وراء الاستعارية أو وراء اسم ذكر، ومنه استمرار التفكير الذكوري سواء من طرف المجتمع ومؤسساته، أو من طرف الأنثى نفسها، فهي تعامل ذاتها معاملة ذكورية.
- امتداد الرقابة الأبوية الواقعية إلى الرقمية واستمرارها في وضع قوانينها الأبوية على الأنثى، وإعطاء الحرية اللغوية والعلاماتية للرجل.

-

- **الهوامش:**

[1] حسين حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، س2012، ط1، ص10، ص14.

[2] دارن بارتي، تر: أنور الجمعاوي، المجتمع الشبكي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، لبنان بيروت، 2015، ط1، ص179

[3] حسين حنفي حسنين، الهوية، المرجع السابق، ص10.

[*] المابعديات: يقصد بها الفلسفة والمناخ الفكري الذي ساد الساحة النقدية من أواخر الستينيات وبداية السبعنيات، حيث افتتحها "جاك دريدا" بحديثه عن فلسفة التفكيك، لينمو أكثر مع النقد الثقافي والدراسات الثقافية وفلسفة "ميشال فوكو" وما بعد النسوية (.....) .

[4] رسول محمد رسول، محنة الهوية، مسارات وتحولات الرؤية فكر/دراسات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبينان، ط1، ص46.

[5] المرجع نفسه، ص50.

[6] آليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة، الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ط1، دس، ص15.

[7] سارة جامبل، تر: أحمد شامي، النسوية وما بعد النسوية "دراسات ومعجم نقدي"، المشروع القومي للترجمة (القاهرة)، س2002، ط1، ص373.

[8] المرجع نفسه، ص373.

[9] ويكبيديا: الهوية الأنثوية، https://ar.m.wikipedia Org .

[10] دارن بارتي، تر: أنور الجمعاوي، المجتمع الشبكي، المرجع السابق، ص187.

[11] المرجع نفسه، ص184.

[12] المرجع نفسه، ص 181.

[13] المرجع نفسه، ص188.

[14] المرجع نفسه 188.

[15] المرجع نفسه، ص188.

[**] السابيورغي: مصطلح يطلق على الكائن المتكون من مزيج بين ما هو عضوي وما هو آلي، بدأ تداوله منذ 1960 مع العالمان الأمركيان "مانفرد كلاينز" و"ناثان كلاين" ضمن مجلة "الملامح الفضائية (ويكبيديا: ساسبورغ https://ar.m.Wikipedia. Org) ، فقد بدأ رواجه في أفلام الخيال العلمي، إلا أنه ضمن الدرس النسوي تعتبر"دونا هارواي" أول من استعمله، لأن وجود هذا الكائن حسبها سيؤدي إلى اختفاء مفهوم الجندر وظهور ما بعد الجندر، ويمكن توسيع معدلات الاختفاء بظهوره وصولا إلى اختفاء الإنسان وظهور ما بعد الإنسان، بهذا فالهوية السابيورغية مختلفة عما عرفناه، كما أنها حقيقة وأصبحت جزء من حياتنا فكل فرد منا أصبح يعيش متصل بآلة ما وهي امتداد لهويته أن لم نقل هي هويته.

[16] حسَّان قَمْحية، الفيسبوك تحت المجهر، النخبة للنشر والتَّوزيع، مصر، ط1، س2017، ص22.

[17] المرجع نفسه، ص25.

[18] حسين حنفي حسنين، الهوية، المرجع السابق، ص22.

[***] الجندرية: من المصطلحات الحديثة، نمت وتطورت ضمن الدرس النسوي، أول من جاء بها هو عالم النفس "روبوت ستولر" ، وعملت المفكرة النسوية على تطويره "آن أوكلي - 1972 - An Oakley" في كتابها " الجنس والجنوسة والمجتمع" وتعد من الأوائل اللواتي استعملن هذا المصطلح بعد استعارته من "روبرت ستولر" استعملته للإشارة إلى النوع الاجتماعي الذي تخلقه الثقافة لتفرق بين الذكورة والانوثة، وبحثت في الفرق بين النوع الإجتماعي وبين النوع البيولوجي.

[19] آليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة، الهوية، المرجع السابق، ص15.

[20] المرجع نفسه، ص119.

[21] أماني أبو رحمة، قراءة في (بيان السايبورغ: العلم والتكنولوجيا والنسوية والاشتراكية في أواخر القرن العشرين)، لقاء نظمته دار الفنون / عمان عبر الإنترنت، 5 مايو / 2020، ص2.

[22] المرجع نفسه، ص 3.

[23] سارة جامبل، تر: أحمد شامي، النسوية وما بعد النسوية "دراسات ومعجم نقدي"، المرجع السابق، ص128.

[24] المرجع نفسه، ص128.

[25] المرجع نفسه، ص131

[26] رياض القريشي، النسوية "قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب"، دار حضرموت، اليمن، س2008، ط1، ص 39- 64.

[27] حنفاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسويّ وما بعد النسويّة" قراءة في سفر التكوين النسائيّ"،منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر- لبنان، س 2002م، ط1، ص 51 .

[28] هشام الشرابي، تر: محمود شريح، النظام الأبويّ وإشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، س1993، ط2، ص22.

[29] المرجع نفسه، ص22.

[30] المرجع نفسه، ص16.

[31] هشام الشرابي، تر: محمود شريح، النظام الأبويّ وإشكالية تخلف المجتمع العربي، المرجع السابق، ص155

[32] المرجع نفسه، ص115.

[33] عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة -2- الوهم "مقاربات حول المرأة والجسد واللغة"، المركز الثقافي العربي، المغرب-لبنان، س1998، ط2، ص109.

[34] المرجع نفسه، ص109.

قائمة المراجع:

1- الكتب

1- آليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة، الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعية، ط1، دس.

2- حسَّان قَمْحية، الفيسبوك تحت المجهر، النخبة للنشر والتَّوزيع، مصر، س2017، ط1.

3- حسين حنفي حسنين، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، س2012، ط1 .

4- حنفاوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسويّ وما بعد النسويّة" قراءة في سفر التكوين النسائيّ"، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر- لبنان، س 2002م، ط1.

5- دارن بارتي، تر: أنور الجمعاوي، المجتمع الشبكي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، لبنان بيروت،س 2015.

6- رسول محمد رسول، محنة الهوية، مسارات وتحولات الرؤية فكر/دراسات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبينان، ط1.

7- رياض القريشي، النسوية "قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب"، دار حضرموت، اليمن، س2008، ط1.

8- سارة جامبل، تر: أحمد شامي، النسوية وما بعد النسوية "دراسات ومعجم نقدي"، المشروع القومي للترجمة (القاهرة)، س2002، ط1.

9- عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة -2- الوهم "مقاربات حول المرأة والجسد واللغة"، المركز الثقافي العربي، المغرب-لبنان، س1998، ط2.

2- المقالات:

1- أماني أبو رحمة، قراءة في (بيان السايبورغ: العلم والتكنولوجيا والنسوية والاشتراكية في أواخر القرن العشرين)، لقاء نظمته دار الفنون / عمان عبر الإنترنت، 5 مايو / 2020.

3- المواقع الالكترونية:

1- ويكبيديا: الهوية الأنثوية، https://ar.m.wikipedia.Org .